كما لا يستطيع حيوان البلاد المعتدلة او الحارة ان يعيش فيه. فاذا صار الشتاء هبَّت في خليج البسفور الرياح الباردة التي تأتي من صحاري روسيَّة الجامدة فينفح القرّ على اهل الاستانة حتى ان ميزان الحرارة هبط في بعض السنين الى الدرجة العشرين تحت الصفر بل تجمَّدت مياه البوغاز. وبعكس ذلك لمَّا كان عرض البسفور في الدرجة ٤١ ربَّما اصابها في الصيف حرٌّ لافح لا يكاد يُطاق. وهكذا يختلف هواء الاستانة اختلافاً عظيماً على حسب السنين فلا يقوى كثيرٌ من النبات او الحيوان على ان يألف جهات البسفور. هذا ومما لاحظهُ علماء الطبيعة ان الحيوانات الاوقيانيَّة تقلّ جنساً وعدداً على قدر ما يتقدَّم الانسان من جهات جبل طارق الى جهات البحر الاسود

وقد اثَّر ايضاً في نفي بعض الحيوانات والنباتات البلديَّة تقاطر الاجانب الى سكنى البسفور. فنفرت الوحوش الاصليَّة مستوحشةً من الانسان عدوّها. وقلَّ ايضاً جنس بعض الاسماك فلم يَعد الصيَّادون يجدون منها الّا نادراً كسمكة السيف (espadon). وكذلك النبات البلدي فانهُ قلَّ لاتساع نطاق السكان. وبعكس ذلك كثر النبات الاجنبي واصناف الزهور التي يُعنى بها ذوو الثروة في بيوتهم الخاصَّة

وخلاصة القول ان خليج البسفور ذو شأن خطير من حيث تاريخهِ ومرقعهِ الاثير ومشاهدهِ الفتَّانة. لكنَّهُ قليل الاعتبار من حيث مآثرهِ النباتيَّة واصنافهِ الحيوانيَّة. فسبحان من قسم الخيرات على عبادهِ وانعم على كلّ بلد بشيء من هباتهِ ليتعاضد الناس ويتآزروا كالاخوان في صلاح شؤون الهيئة الاجتماعيَّة وخدمة ربّ الاكوان

أَوْجُهُ الإِعراب عند العرب والأَعراب

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

هل وُجدت اللغة العربية أوَّلَ وجودها بهذه الصورة التي نعرفها بها اليوم من إجراء اوجُه الإعراب على أواخر الكلم إنْ عند العرب وإن عند الأعراب؟ — هذا سؤال يسألهُ كل من يريد الوقوف على حقائق الامور ودقائقها. فجواباً عن ذلك نقول: على السائل ان يعلم اولاً: ان اللغة العربية اختٌ للغات أخرى تعرف طائفتها

باللغات السامية . وهي لغات كان يسكن اهلها (ويسكن بقاياهم الى اليوم) بلادًا تمتدّ من دجلة الى البحر المتوسّط . ومن جبال ارمينية الى جنوب جزيرة العرب . ويدخل تحت مَطْوى ذلك سوريَّة والجزيرة (مع بلاد أشور وبابل) وبلاد العرب وفلسطين (مع فينيقية المعروفة عند قدماء العرب ببلاد الغور) وافريقية الشمالية . وكان العلماء بادئ بدء يطلقون على هذه اللغات اسم « اللغات الشرقية » وهذه التسمية كانت معروفة حتى عند قدماء كتبة البيعة وبالاخص عند القديس ايرونيموس . لكنّها واسعة الغلالة . مبهمة الدلالة . والمشهور اليوم بهذه التسمية لغات عديدة يتكلّم بها ابناء الشرق بدون ان تكون من رَشيج تلك الطائفة . وعليه فقد جرى المحدثون منذ قرنٍ على ان يطلقوا عليها لفظة « اللغات الساميَّة » لان اغلب الشعوب التي كانت تتكلّم بها كانت من صُلب سام . وقلنا « اغلب الشعوب » لنُخرج من ذلك بني كنعان اذ هم من أعقاب حام (سفر التكوين ١٠ و ١٥ الخ) وفي لغتهم أمشاجٌ من اللغة العبرانية

واللغات الساميَّة تُقسم الى قسمين عظيمين وهما : لغات ساميّ الشمال ولغات ساميّ الجنوب . ويتفرّع من القسم الاول ثلاثة فروع . فالفرع الاول : اللغات الآرامية ومنها السريانية الشرقية (المعروفة اليوم عند العامة باللغة الكلدانية) والسريانية الغربية (المعروفة اليوم عند العامّة بالسريانية مطلقًا) والتدمريَّة والنَبطيَّة والتلموذيَّة والترجوميَّة والسامريَّة والصابئيَّة . والفرع الثاني هو اللغات الاشوريَّة وتسمّى ايضًا بالبابلية وهي لغة بابل وينتوى الى القرن الخامس قبل المسيح . ويتعلّق بها بعض شُعَب اخرى . والفرع الثالث اللغات الكنعانيَّة ومنها العبرانية والفينيقية والفينيقية المولّدة او القرطاجنيَّة (le punique)

واما لغات ساميّ الجنوب فهي كثيرة . منها لغات العرب العاربة كالعربية القديمة ولغة بلاد الصفا ولغة بني ثمود (المزهر ١ : ١٥ و ١٨) ومنها لغات العرب المتعرّبة او القحطانية وهي التي كان يتكلّم بها اهل اليمن وحِمْيَر . ويلحق بها اللغة الأَحْمَريَّة والتَمْريَّة (والأَحْريَّة تصحيف الحميريَّة على ما حقّقناهُ . فلا شكّ ان الاوائل قالوا في حميريَّة « يحمريَّة » بالقلب كما هو شائع ذائع عندهم . ثم أُبدلت الياء المثناة همزةً كما قالوا في يَزَني أَزَني وفي يثربيّ أثربيّ وفي يَرْميّ إرْميّ وامثلة ذلك كثيرة تفوت الحدّ والعد وقد ذكر صاحب المزهر شيئًا منها (١ : ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٦٤) . ويشهد على ذلك التاريخ

ايضاً فان مؤرخي العرب ومؤرخي الافرنج رأي واحد على ان أصل أصحاب اللغة الاحمرية من جالية حِمير. ولنا دليل ثالث على مصداق قولنا وهو ان الفاظاً عديدةً من اللغة الأمحرية تتفق كل الاتفاق مع ما يقابلها من الالفاظ الحميرية. ولنا دليل رابع وهو ان الكتابة المكتشفة حديثاً في بلاد حِمير تكاد تكون نفس الكتابة المستعملة اليوم في بلاد أمحر. ودونك دليلاً خامساً وهو ان « الاحمرية » تُكتب عند اصحابها بالحاء لا بالهاء الى غير ذلك من الادلة وهو مما لم ينبه عليه احدٌ قبلنا). ومنها اللغة المينية (المينية هي ايضاً تصحيف اليمنية. والشواهد على ذلك هي عين الشواهد التي مرَّت بك فُوَيق هذا). ومنها ايضاً الحبشية القديمة المعروفة بالجيز وهي لغة الحبش الطقسية (راجع المشرق ٢ : ١٧)

واذا حفظت ذلك فاعلم هداك الله وأيانا ان اللغة العربية الفصيحة (او ان شئت قل : لغة المعلقات السبع او لغة القرآن او لغة قُرَيش) ليست لغة العرب الاولين وذلك : « لان لغة العرب لم تنتهِ الينا بكليَّتها. وان الذي جاءنا عن العرب قليلٌ من كثير وان كثيراً من الكلام ذهب بذهاب اهله . . ولو جاءنا جميع ما قالوهُ لجاءنا شعرٌ كثيرٌ وأحرِ بهذا القول ان يكون صحيحاً. لاننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالتهُ العرب فلا يكاد واحدٌ منهم يُخبر عن حقيقة ما خُولف فيهِ بل يسلك طريق الاحتمال والامكان » (هذا كلام صاحب المزهر بحرفهِ الواحد ١ : ٣٤ و ٣٥) وما لغة قُريش هذه كما نراها اليوم الّا خلاصة لغات قبائل كثيرة ونقيُّها ونُقاوتُها. « وذلك ان الله تعالى اختارهم (اي قُرَيشاً) من جميع العرب. واختار منهم محمداً صلعم فجعل قريشاً قطّان حرمهِ وولاة بيتهِ. فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون الى مكّة للحج ويتحاكمون الى قُرَيش وكانت قُرَيش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقّة ألسنتها اذا انتهى الوفود من العرب « تخيَّروا » من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم واصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب » (هذا ايضاً كلام المزهر ١ : ١٠٤) وعليهِ فقد اصبحت لغة قُرَيش اشبه شيء بالزِّلّة او الدُملوك (وهو الحجر الاملس المستدير galet) الذي من بعد ان كان خشن الملمس أحرش الجسّ عند انقداده من مسقطهِ املسَ بتدهورهِ على قاع النهر او البحر او ملَسَتهُ ايادي امواج البحر من بعد ان لعبت بهِ كل ملعب. غير انهُ والحمد لله قد

بقي في اللغة آثار دالّة على هذا التغيُّر وهي كثيرة لا تُحصى ولا يُسبر غورها ولا يستقصى غير اني في هذه النبذة لا اريد ان اتعرّض الّا لمسئلة واحدة وهي اوجُه الإعراب في اواخر الكلم واصلها وتغيُّرها وسبب اضمحلالها من ألسنة المتكلّمين بها من بعد ان كانت شائعة لا عند العرب فقط لا بل وعند الأعراب ايضاً وهو امر لا يُنكرهُ اثنان من المطلعين على تغلُّب اطوار هذه اللغة الشريفة

هذا وانك تعلم ان سمات الإعراب ثلاث وهو ممّا لا يجهلهُ احد وان هذه السمات هي الرفع (الضم) والنصب (الفتح) والجرّ (الكسر). ولا مرية في ان هذه العلامات كانت يوماً احرف علّة اي ان الضمة كانت واواً والفتحة الفاً والكسرة ياء كما نرى اثنين منها في الجمع السالم فاننا نقول مثلاً: جاء الزيدون ومررتُ بالزيدين. ولعلّ العرب كانوا يقولون ايضاً « رايتُ الزيدان » في حالة النصب ولم يقولوا « الزيدين » الّا اجتناباً لالتباسها بالمثنّى. ولعلّهم ايضاً كانوا يقولون في المثنى « جاء الزّيدَوْن ». ثم نقلوها الى رفعها بالالف خوفاً من اللبس. وكذلك فعلوا في « رأيت الزّيدان » ثم نقلوها الى نصبها بالياء. وما ابقوا في المثنى الّا قولهم مثلاً: مررت بالزّيدَين. وعلى كلّ فان هذه العلامات حُفظت على حالتها الاصلية في خمسة احرف وتُعرف عند النحويين بالاسماء الخمسة وهي ابوك واخوك وحموك وفوك وذو الصاحبيَّة فانها تُرفع بالواو وتُنصب بالالف وتُجرّ بالياء فيقال مثلاً: جاء اخوك ورأيت اخاك ومررتُ باخيك

وممّا لا شُبهة فيه « عندنا » ان هذه الاحرفَ الثلاثة الاعرابية هي ايضاً بقايا الفاظ كانت فيها الواو واليا والالف فاكتفوا بها عن اللفظة كلها طلباً للخفة في الكلام وذلك من باب الاجتزاء بالدلالة عن المدلول او من باب إبقاء الأثر للدلالة عن العين المضمحلّ. غير انهُ كيف يمكننا ان نهتدي الى الكلمات الثلاث التي منها هذه الاحرف الثلاثة ؟ — انّما نهتدي الى ذلك بواسطة اخوات اللغة العربية. وعليهِ فلنبحث اولاً عن اصل الضمّ او الرفع فنقول:

ان اللغات الهنديَّة الاوربيَّة المعروفة ايضاً باسم الآريَّة كالقلطيَّة واللاتينية واليونانية تستعمل في حالة الرفع فعل الكون إمّا ظاهراً وإمّا مقدّراً. فيقول اللاتين مثلاً في: « الله عادل » Deus est justus ومعناه حرفياً « الله هو عادل ». وهذا في الظاهر. واما في التقدير فيقولون مثلاً في « الله يرى افكارنا » Deus videt cogitationes nostras

والاصل: Deus est videns cogitationes nostras اي: الله هو راء افكارنا. فحذفوا فعل الكون وعوّضوا عنهُ ما عوّضوا. وكذلك هو الامر في سائر اللغات الآريّة. اما في اللغات السامية فلم يبقَ لذلك اثرٌ الّا في الآرامية وهو ايضاً واقف على جناح الزوال. فيقول السريان مثلاً في « الله عادل » ܐܠܗܐ ܗܘ ܙܕܝܩ اي: « الله عادلٌ هو ». كما يقولهُ الآريون في يومنا هذا. وقلنا: « ان هذا الاثر واقفٌ على جناح الزوال ». اولاً: لان الهاء في ܗܘ لا تُقرأ ولذا يشيرون الى ذلك بعلامةٍ من فوق الحرف او تحتهُ تدلّ على انها لا تقرأ كما ترى. وثانياً: لانهُ يجوز لك ان تحذف اللفظة ܗܘ من آخر العبارة بدون ان تخلّ بالمعنى. وعليهِ فاننا نستنتج من ذلك ان العرب ايضاً كانوا يقولون مثل هذا القول. اي انهم كانوا يقولون مثلاً في « الله عادل »: الله عادل هو. ثم انتقلت « هو » الى الطور الذي تُكتب بحرفين وتُقرأ بحرفٍ واحدٍ اي الواو كما في السريانية. ومن ذلك بقي عندنا إعراب الاسماء الخمسة. ثم انتقلت الكلمة الى طور الحذف جوازاً كما هو اليوم جارٍ عند السريان وهو ولا شك كان يُحذف ايضاً بتاتاً لو لم يفاجئ هذه اللغة استنباط الكتابة فاوقف زوالها. وفي آخر الامر انتقلت الى حذف الكلمة وجوباً والتعويض عنها بعلامةٍ تقوم بمنزلة ضمّة تنوين الناقلين الى مدفن الكلمة الماضية

واللفظ « هو » إن في السريانية وان في العربية مقطوع من فعلٍ قد أُميت في العربية وبقي حيّاً في السريانية وهو فيها ܗܘܐ بمعنى كان يكون او وُجد يوجد. وهذا المعنى هو نفس مدلول لفظة est اللاتينية اي هو. فتقول اذن: الله عادلٌ. معناهُ: الله عادل هو. اي الله موجود او (كائن عادل)

هذا من جهة حالة الرفع. واما حالة النصب التي يُدلّ عليها بالفتح فلا اثر لها في اللغات الآريّة بل ولا في اللغات السامية الّا في واحدةٍ منها وهي اللغة العبرانية. فانهم يستعملون بعض الاحيان في حالة النصب الاداة את ويقولون مثلاً: في البدء خلق الله السماء والارض: בראשית ברא אלהים את השמים ואת הארץ. وقلنا « بعض الاحيان » لانها لا تُستعمل الّا في اماكن محدودةٍ منها المعرفة. والمراد بذلك عند نحويي العبرانيين العلَم والمعرَّف باداة التعريف المضاف والمذيَّل بضمير. ولا شك انها كانت عامّة في جميع الالفاظ في حالة النصب فحصروها بعد ذلك وقيّدوها. وهذه الاداة هي بقيّة كلمةٍ برأسها كانت شائعة عند بني سام باجمعهم كما رأينا في علامة الرفع اذ ان مقطوعها

موجود في جميع اللغات السامية بتلك الدلالة عينها. واما مقطوع את ويشابهها عند السريان ܐܢ التي ترجمها بَرْعلي: « ذات الشيء ونفسهُ وشخصهُ » فهي את ومثلها את على الابدال. وهي عند العرب « آية » ومعناها ايضاً نفسُ معنى اللفظة العبرانية اي الذات والنفس والشخص. وقد اشتقُّوا منها فعلين وقالوا: « تأَيَّيتُهُ وتآيَيتهُ » اي قصدتُ آيتهُ وشخصهُ وتعمَّدتهُ (القاموس). ومن ذلك ايضاً اشتقوا الضمير المنفصل في حالة النصب اي « اياً » مع الضمائر المضافة اليهِ اي اياهُ اياكَ اياي الخ. وعليهِ فقولك: « ضرب اياكَ » معناهُ: « ضرب شخصك وذاتك ونفسك ». وبعد ان كانت את عند العبران صارت את اي « اة » عند العرب. ثم « او الالف. ثم زالت من عند الكلدان والسريان. ومثل هذا الانقراض والاندثار الحرفُ العربي « سوف » اي أداة الاستقبال. فقالوا فيهِ « سَف » ثم « س » وجعلوا معنى سوف أبعد من معنى سف ومعنى هذه ابعد من معنى س. كانهم قدَّروا مدَّة الزمن على كثرة الحروف وقلَّتها وهو من الغرابة بمكان. وعليهِ فقولك مثلاً: « ضرب زيدٌ عمراً » معناه: ضرب وجودُ زيدٍ وكونهُ شخصَ عمرٍو او ذاتهُ

بقي علينا ان نعرف اصل علامة الجرّ اي الكسرة فالظاهر ان اصل المجرورات جرُّها بحرفٍ في الآخر. ثم حُذف هذا الحرف وعُوّض عنهُ حرف مدّهِ ثم عُوّض عن هذا بما يُجانسهُ من الحركات اي بالكسر. اما هذه الكلمة المقطوعة عنها الياء او الكسر فهي « في » التي اصلها « بي » المماثلة لا بل الحيَّة في جسم آخر اي « بِ ». ولا مرية في ان هذه الباء لم تُوجد كذلك بدون اصل قُطعت منهُ او ترجع اليهِ. لكن ما هو هذا الاصل يا ترى؟ — انا اذا نظرنا الى اللغات السامية نرى انها لا تستعمل هذه الباء الّا للظرف. ولا شك انها كانت كذلك في العربية بادئ بدء ثم تُوسِّع فيها او مرَّت عليها الطوارئ فاخرجتها بصور معانٍ مختلفة. واما الكلمة المقطوعة عنها هذه الباء الظرفيَّة فهي اسم اول ظرفٍ وُجد على هذه الارض اي « بيت » الذي من معانيهِ الخيمة وكل ما يُدخل تحتهُ او يُوضع فيهِ. ثم تصرَّفوا فيها وحذفوا التاء طلباً للخفَّة فقالوا « بي ». وكما ان الباء والفاء تتعاقبان في « جميع » اللغات السامية. (من ذلك في العربيَّة. التِشف واليشب والحِضف والحضب والبَرْبار والفَرْفار بمعنى الاسد. ونفنجَ الارنب ونبنج الارنب بمعنى ثار او خرج من جحرهِ) قالوا في « بي » « في » ثم رجعوا الى « بي » واسقطوا منها تارةً الياء المثناة فصارت « بِ » من احرف الجرّ وتارةً

الباء الموحدة فبقيت « ي » وحدها فجعلوها من ادوات الاعراب في الآخر كما فعلوا في حالتَيْ الرفع والنصب ثم نقلوها الى الكسر . وتدرّج اندثار لفظة « بيت » الى « بي » او « با » (بالامالة) ثم الى « ب » ظاهرٌ الى ايامنا هذه فان اهل سورية يقولون مثلاً: بيت لحم وبَيْجبرون وباعابا وبزمّار . فبيت لحم على الاصل واصل البقيّة بيت جبرون وبيت عابا وبيت زمّار . وتزيد على ذلك ان « بيت » و « بي » و « ب » قد وردت كلها في اللغة العبرانية اي בית و בי و ב التي يقابلها بالسريانية ܒܝܬ و ܒܝ و ܒ بمعنى الباء العربيّة وذلك في الترجوم والتلمود . راجع ذلك في طبعة Jean-André Dantz.- (Rabbinism § 64.4. 2)

وبعد ان كان معنى البيت الخيمة نقلوه الى مجرّد الظرف ثم اطلقوهُ على كل ظرف. ولمّا كان البيت بمنزلة آلة ظرفية تنتقل من مكان الى مكان يصون بها الانسان وجودهُ وسكناهُ اطلقوها ايضاً على كل آلة بدون اعتبار الظرفيّة . وعليهِ تقولك مثلاً: ضرب زيدٌ عمرًا بعودٍ يعني ضربهُ بآلةٍ وهي العود . وكان لهُ هذا العود بمنزلة بيت ألمَ أدخل فيهِ عمرٌو او خيَّم عليهِ الالم ومدّ على جسمهِ اطنابهُ . وبالحقيقة اذا ضُرب الواحد في محلّ من جسمهِ فلا يشعر المحلّ وحدهُ بذلك بل شخص الانسان كلهُ . فتدبّر (ستأتي التتمّة)

الشاعر نصرالله الطرابلسي الحلبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد آنسنا من جمهور القراء ارتياحاً الى معرفة مشاهير بلادنا . وذلك ما حدانا سابقاً الى تسطير ترجمتَيْ الشاعرَين البارعين الياس ادّه (المشرق ٢ : ٦٩٣) وميخائيل البحري (٩ : ٣) . على أنّنا آثرنا تدوين اخبار الذين كاد ذكرهم يخمل بين مواطنيهم لئلا تتضعضع مآثرهم الجليلة وتُنسج عناكب النسيان على اعمالهم المبرورة

ومن جملة الذين اشتهروا في عهد الشاعرَين السابق ذكرهما رجلٌ عُرف بزمانهِ بجودة القريحة وذكاء الفهم يدعى نصر الله الطرابلسي

ولد المذكور في حلب نحو سنة ١٧٧٠ من ابوَين كاثوليكيين من اعيان الشهباء